

التعريف بالأسلوبيتين التعبيرية والبنويية

مع تحليل قصيدة محمود درويش (هو هادئ، وأنا كذلك)

عمر علي الباروني
جامعة مصراتة - ليبيا

مقدمة

اللغة وسيلة للتعبير والتفكير، وبها تستخرج مكنونات الصدور والعقول، فهي تعبر عن الأفكار الكامنة، كالخلجات الساكنة، والفكرة والصورة؛ لذلك يرى العقلائيون أن اللغة تنظيمٌ عقليٌّ معقدٌ، وعلى النقيض من ذلك فإن الماديين يرون أن الفكر ما هو إلا كلام ملفوظ، ومن هنا اختلفت نظرات الدارسين في تفسير الظواهر اللغوية، فانبثقت على ضوء ذلك مدرسة نقدية تعنى بالأسلوبية التعبيرية، وأخرى تعنى بالأسلوبية البنويية. وهذا البحث سيتناول - بإيجاز - التعريف بالأسلوبية التعبيرية والأسلوبية البنويية، ومن ثم تحليل قصيدة محمود درويش (هو هادئ، وأنا كذلك)، تحليلاً أسلوبياً، يكشف عن الملامح الأسلوبية الكامنة وراء كلماته وتعبيراته الأدبية، وما تحويه من جماليات النص الأدبي، وقد وسمت بحثي باسم (التعريف بالأسلوبيتين التعبيرية والبنويية مع تحليل قصيدة محمود درويش هو هادئ، وأنا كذلك)، وسيكون الحديث مكوناً - بعد المقدمة - من ثلاثة مباحث: المبحث الأول - التعريف بمصطلحي الأسلوب والأسلوبية، وبالشاعر محمود درويش. المبحث الثاني - التعريف بالأسلوبيتين التعبيرية والبنويية. المبحث الثالث - تحليل قصيدة محمود درويش (هو هادئ، وأنا كذلك). ثم خاتمة أخص فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وأعقبها بفهرس للمصادر والمراجع.

المبحث الأول

1- (التعريف بمصطلحي: الأسلوب والأسلوبية)

الأسلوب والأسلوبية- في اللغة- مأخوذان من جذر واحد، هو (سلب)، و"يقال للسطر من النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب...، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب بالضم: الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه"⁽¹⁾. وفي الاصطلاح يعرفه اللغوي الفرنسي (بوفون) بقوله: "الأسلوب هو الرجل"⁽²⁾. وقد نال هذا التعريف قسطاً كبيراً من الشهرة، وهو يعني أن لكل إنسان طريقته الخاصة في التعبير⁽³⁾. ويعرفه (شارل بالي) بأنه: "مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفياً على المستمع أو القارئ"⁽⁴⁾، وعند (ريفاتير): "الأسلوب الأدبي هو كل شيء مكتوب فردي ذي قصد"⁽⁵⁾، وقال (بوفو): "الأسلوب هو الإنسان نفسه"⁽⁶⁾.

فهذه التعريفات وما شابهها لا يلحظ فيها فارق كبير يذكر، فهي لا تخرج عن كونها تلك الصورة اللفظية التي يعبر بها المرسل عن المعنى، أو عن كونها ذلك النظم الكلامي وتأليفه للتعبير عن الأفكار والخيالات، أو عن كونها الطريقة المتبعة في الكتابة والإنشاء.

(¹) ينظر: ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب المحيط، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة: يوسف خياط، قدم له الشيخ: عبد الله العلايلي، دار الجيل، بيروت، دار لسان العرب المحيط، بيروت، 1408هـ - 1988م، 178/3 (سلب).

(²) عزام، محمد، الأسلوبية منهجاً نقدياً، وزارة الثقافة، دمشق، 1989م، ص: 10.

(³) ينظر: عياد، شكري، مدخل إلى علم الأسلوب، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط(1)، 1402هـ - 1982م، ص: 14.

(⁴) عزام، محمد، الأسلوبية منهجاً نقدياً، ص: 18.

(⁵) عزام، محمد، الأسلوبية منهجاً نقدياً، ص: 14.

(⁶) هاف، كراهم، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: كاظم سعد الدين، دار آفاق عربية للصحافة والنشر، بغداد، 1995م، ص: 21.

وأما الأسلوبية فيعرفها (جوزيف شريم) بأنها: "تحليل لغوي، موضوعه الأسلوب، وشرطه الموضوعية، وركيزته الألسنية"⁽⁷⁾، ويعرفها (المسدي) بأنها: البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب⁽⁸⁾. وهي تدرس وقائع التعبير في اللغة المنظمة من ناحية محتواها العاطفي، أي: التعبير عن وقائع الإحساس عبر اللغة، وفعل اللغة في الإحساس⁽⁹⁾، "وفق مواقف التواصل، أو وفق مستويات النوع الأدبي"⁽¹⁰⁾. وعلم الأسلوب هو العلم الذي يدرس الإمكانيات التعبيرية للغة، أي: الوسائل التي يملكها الجهاز اللغوي نفسه لأداء معانٍ تتجاوز الأغراض الأولية للكلام⁽¹¹⁾. فالأسلوبية منهج نقدي، تُعنى بالكلام الكلي؛ ولذا ظلت تدور في فلك اللسانيات كفرع من فروعها، فهي لا تصف النص إلا بوسائل مستمدة من اللسانيات الحديثة، قوامها ربط الفكر باللغة، وهو ما جعل الأسلوبية تلقي بظلالها على النص بكامله⁽¹²⁾. وتناولُ الأسلوبية للنصوص الأدبية ينطلق "من تنظيرات مسبقة، ترى في اللغة الأدبية خواص التنوع الفردي المتميز في الأداء، بما فيه من وعي واختيار، وبما فيه من انحراف عن المستوى العادي المؤلف، بخلاف اللغة العادية، التي تتميز بالتلقائية، والتي يتبادلها الأفراد بشكل دائم غير متميز"⁽¹³⁾.

(7) ينظر: شريم، جوزيف، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984م، ص:38.

(8) ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1977م، ص:30.

(9) ينظر: جيرو، بيير، الأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري للدراسات والترجمة والنشر، ط(2)، 1994م، ص:54. العطار، سليمان، الأسلوبية علم وتاريخ، مقال مترجم منتزع من كتاب نظرية الأدب المترجم إلى الأسبانية عن البرتغالية، تأليف: فيتور مانويل دي أجيبار إي سيلفا، مجلة فصول، المجلد (1)، العدد (2)، 1981م، ص:133.

(10) مولينيه، جورج، الأسلوبية، ترجمه وقدم له: بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط(1)، 1420هـ- 1999م، ص:51.

(11) ينظر: عياد، شكري، اللغة والإبداع (مبادئ علم الأسلوب العربي)، القاهرة، إنترناشونال، برس، ط(1)، 1988م، ص:5-6.

(12) ينظر: أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية (الرؤية والتطبيق)، دار المسيرة، عمان، 2005م، ص:97.

(13) ينظر: عبد المبحث، محمد، التكرار النمطي في قصيدة المديح عند حافظ (دراسة أسلوبية)، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد (3)، العدد (2) 1983م، ص:47.

فالأسلوبية إذن "ذات ارتباط بالأسلوب، ويمكن أن تعد علم دراسة الأسلوب، أو منهج دراسة الأساليب، فهي تطلق على جملة المبادئ والمعايير الكبرى، التي يحتكم إليها في تمييز الأسلوب وتحليله، فالأسلوبية هي الكل، والأسلوب هو الجزء، ومن جماع الأساليب تتكون الأسلوبية في تحديدها الختامي"⁽¹⁴⁾. ولا شك في أن الدراسات الأسلوبية حديثة العهد في النقد العربي، فهي مستمدة من التفاعل الحضاري مع الغرب، ولكن هذا لا يعني أنه لم يكن هناك بدائل أو مقاربات أسلوبية في النقد العربي القديم⁽¹⁵⁾.

2- التعريف بالشاعر محمود درويش⁽¹⁶⁾

يُعد الشاعر محمود درويش من أبرز الشعراء الفلسطينيين والعرب، عُرف كأحد أدباء المقاومة، والتحمّت قصائده بالقضية الفلسطينية، حتى سماه بعضهم بشاعر الجرح الفلسطيني، وفيما يأتي تعريف مفصل بالشاعر:

مولده ونشأته: ولد الشاعر محمود درويش في (13) مارس عام (1941م)، في قرية البروة في الجليل بفلسطين، ونزح مع عائلته إلى لبنان في نكبة 1948م، وعاد إلى فلسطين متخفياً ليجد قريته قد دمرت، فاستقر في قرية الجديدة شمالي غربي قريته البروة.

حياته العلمية: أتم تعليمه الابتدائي في قرية دير الأسد بالجليل، وتلقى تعليمه الثانوي في قرية كفر ياسيف.

⁽¹⁴⁾ ينظر: أماني سليمان، الأسلوب والأسلوبية، إضاءات حول المفهوم والمحددات، مجلة أفكار، عمان، العدد (166)، 2000م، ص: 91.

⁽¹⁵⁾ ينظر: محمد عزام، الأسلوبية منهجاً نقدياً، ص: 5.

⁽¹⁶⁾ ينظر: الموسوعة الفلسطينية، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، ط(1)، دمشق، 1984م. والمواقع الإلكترونية الآتية:

<http://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2014/9/20/>

<https://www.arageek.com/bio/mahmoud-darwish>

http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=1260efcay308342730Y1260efca
http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=1260efcay308342730Y1260efca

حياته الوظيفية: انضم درويش إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي في فلسطين، وعمل محرراً و مترجماً في صحيفة الاتحاد، ومجلة الجديد، التابعتين للحزب، وأصبح فيما بعد مشرفاً على تحرير المجلة، كما اشترك في تحرير جريدة الفجر.

حياته السياسية: اعتقل أكثر من مرة من قبل السلطات الإسرائيلية، منذ عام (1961م)؛ بسبب نشاطاته وأقواله السياسية، وفي عام (1972م) توجه إلى موسكو، ومنها إلى القاهرة، وانتقل بعدها إلى لبنان، حيث ترأس مركز الأبحاث الفلسطينية. شغل منصب رئيس تحرير مجلة شؤون فلسطينية، كما ترأس رابطة الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، وأسس مجلة الكرمل الثقافية في بيروت، عام (1981م). وانتخب عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، عام (1988م)، ثم مستشاراً للرئيس الراحل ياسر عرفات. كتب إعلان الاستقلال الفلسطيني، الذي أُعلن في الجزائر عام (1988م)، واستقال من اللجنة التنفيذية بعد خمس سنوات؛ احتجاجاً على توقيع اتفاق أوسلو. عاد درويش عام (1994م) إلى فلسطين ليقوم في رام الله، بعد أن تنقل في عدة أماكن، كبيروت، والقاهرة، وتونس، وباريس.

مؤلفاته: بدأ كتابة الشعر في المرحلة الابتدائية، وعرف كأحد أدباء المقاومة، ولدرويش ما يزيد على ثلاثين ديواناً من الشعر والنثر، بالإضافة إلى ثمانية كتب، وقد ترجم شعره إلى عدة لغات، وأثارت قصيدته (عابرون في كلام عابر) جدلاً داخل الكنيسة. نشر آخر قصائده بعنوان (أنت منذ الآن غيرك)، يوم (17) يونيو/ حزيران (2007م)، وقد انتقد فيها النقاتل الفلسطيني. من دواوينه: عصفير بلا أجنحة. أوراق الزيتون. أصدقائي لا تموتوا. عاشق من فلسطين. العصفير تموت في الجليل. مديح الظل العالي. حالة حصار. لا تعتذر عما فعلت.

الجوائز والأوسمة: حصل درويش على عدة جوائز، منها: جائزة لوتس عام (1969م)، وجائزة البحر المتوسط عام (1980م)، ودرع الثورة الفلسطينية عام (1981م)، ولوحة أوروبا للشعر عام (1981م)، وجائزة ابن سينا في الاتحاد السوفيتي عام (1982م)، وجائزة لينين في الاتحاد السوفيتي عام (1983م)، وجائزة الأمير كلاوس (هولندا) عام (2004م)، وجائزة العويس الثقافية مناصفة مع الشاعر السوري أدونيس عام (2004م).

وفاته: توفي درويش في 9 أغسطس (2008م)، بالولايات المتحدة، إثر خضوعه لعملية جراحية للقلب بمركز تكساس الطبي في هيوستن، ودفن في 13 أغسطس، بمدينة رام الله، في قصر رام الله الثقافي.

المبحث الثاني - التعريف بالأسلوبيتين التعبيرية والبنوية

لم تتشكل الأسلوبية الحديثة في نظرية أسلوبية واحدة، مع أنها تستمد معاييرها من النظرية اللغوية الحديثة، وتتعامل مع المستويات المختلفة للمكونات اللغوية والكلامية التي أثارها هذه النظرية وتعاملت معها، فنحن نجد هذه الأسلوبية تتكون من مجموعة من الأسلوبيات، مثل: الأسلوبية البنوية، والأسلوبية التعبيرية، والأسلوبية التكوينية، والأسلوبية الفردية، والأسلوبية الوظيفية، وغيرها من الأسلوبيات، وكلها أسلوبيات قد تلتقي في بعض إجراءاتها، وقد تبتعد في بعضها الآخر⁽¹⁷⁾، وبناء على ما تقدم سأحاول التعريف بالأسلوبية التعبيرية والأسلوبية البنوية، وكيفية تعامل كل منهما مع النص، وتلمس ما بينهما من فروق.

1. الأسلوبية التعبيرية:

يرتبط مصطلح الأسلوبية التعبيرية، وكذلك مصطلح الأسلوبية الوصفية، بعالم اللغة السويسري (شارل بالي) 1865-1947م⁽¹⁸⁾. وتقوم نظرية شارل بالي على دراسة ما أسماه المحتوى العاطفي للغة، وهي تهدف إلى دراسة القيم التعبيرية الكامنة أو المثارة في الكلام، وشارل يقف على نحو خاص أمام اللغة المنطوقة؛ ليلحظ العلاقة التي يمكن قيامها بين المحتوى العاطفي والوجداني والصيغة التي يصب فيها⁽¹⁹⁾.

⁽¹⁷⁾ القرعان، فايز، محاضرات مساق البلاغة العربية والأسلوبية، برنامج الدكتوراه، بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، سنة 2009م.

⁽¹⁸⁾ ينظر: درويش، أحمد، الأسلوب والأسلوبية (مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه)، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد (5)، العدد (1)، 1984م، ص: 64-65. وربابعة، موسى، الأسلوبية (مفاهيمها وتجلياتها)، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد-الأردن، ط(1)، 2003م، ص: 10. وبوحوش، رايح، اللسانيات وتحليل النص، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، جدارا للكتاب العالمي، عمان-الأردن، ط(1)، 2007م، ص: 37.

⁽¹⁹⁾ ينظر: ابن ذريل، عدنان، الأسلوبية، مجلة الفكر العربي، بيروت، العدد (25)، 1982م، ص: 250. وابن ذريل، عدنان، اللغة والأسلوب (دراسة)، مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط(2)،

فإذا كان موقف الشفقة يستثير عبارة مثل: يا للمسكين! فإن هناك علاقة أسلوبية يمكن أن تقوم من خلال التحليل بين الشفقة والتعجب والإيجاز، ويمكن اكتشاف المحتوى العاطفي للتصغير من خلال إثارته للرقّة أو للضعف، كذلك يمكن تبيين المحتوى العاطفي لفعل الأمر من خلال السياق والمتعلقات المحيطة به وموقعها منه⁽²⁰⁾. وهذا يعني أن اللغة لا تعبر عن الفكر إلا من خلال موقف وجداني، أي أن الفكرة المعبر عنها بوسائل لغوية لا تصير كلامًا إلا بعد مرورها بمسالك وجدانية، كالأمل، أو الترجي، أو الصبر، أو النهي، إلخ⁽²¹⁾.

واهتمام شارل بالي بالمحتوى العاطفي جعله لا يهتم بالجوانب الجمالية، ولا يعتني بصاحب الخطاب - أي: المؤلف -، وتركيزه على اللغة المنطوقة صرفه عن الاهتمام باللغة الأدبية، وتصنيفه للإمكانات الكامنة أو المثارة في اللغة شده إلى دراسة القوة التعبيرية في لغة الجماعة، دون اهتمام بالتطبيقات الفردية لها، وكل هذا جعل دراسته الأسلوبية دراسة لغوية لا دراسة أدبية⁽²²⁾. فشارل بالي إذن هو رائد الأسلوبية اللغوية الجماعية الوصفية، وكتابات في هذا المجال - التي بدأت منذ سنة 1905م - أحدثت تأثيرًا في كثير من المدارس الأسلوبية، التي جاءت بعده، وعلى نحو خاص تلك التي تأثرت بالنزعة الوصفية في منهجه⁽²³⁾.

2. الأسلوبية البنيوية⁽²⁴⁾:

ارتبط الأسلوب ارتباطًا وثيقًا بالدراسات الخاصة بالبحوث اللغوية، التي قام بها (دوسوسير)، انطلاقًا من تفريقه بين اللغة Langue والكلام Parole. والدراسات

2006م، ص:135. وربابعة، موسى، الأسلوبية (مفاهيمها وتجلياتها)، ص:10. ويوحوش، رايح، اللسانيات وتحليل النص، ص:88.

⁽²⁰⁾ ينظر: درويش، أحمد، الأسلوب والأسلوبية، ص:65.

⁽²¹⁾ ينظر: بن ذريل، عدنان، الأسلوبية، ص:252. ويوحوش، رايح، اللسانيات وتحليل النص، ص:89.

⁽²²⁾ ينظر: درويش، أحمد، الأسلوب والأسلوبية، ص:65. ويوحوش، رايح، اللسانيات وتحليل

النص، ص:88.

⁽²³⁾ ينظر: درويش، أحمد، الأسلوب والأسلوبية، ص:65.

⁽²⁴⁾ وتسمى أيضًا الأسلوبية الوظيفية. ينظر: ابن ذريل، الأسلوبية، ص:255.

اللغوية تركز على اللغة، وعلم الأسلوب يركز على طريقة استخدامها وأدائها⁽²⁵⁾، وقيمة التفرقة بين اللغة والكلام تكمن في التنبيه إلى وجود فرق بين دراسة الأسلوب بوصفه طاقة كامنة في اللغة بالقوة، يستطيع المؤلف استخراجها لتوجيهها إلى هدف معين، وبين دراسة الأسلوب الفعلي في ذاته، أي: أن هناك فرقاً بين مستوى اللغة، ومستوى النص⁽²⁶⁾.

وقد أخذ هذا التفريق أسماء ومصطلحات مختلفة في فروع المدرسة البنوية؛ ف(رومان جاكسون) دعا إلى التفريق بين الثنائي (رمز - رسالة)، وركز في تحليله على الجزء الثاني منها، دون أن يهمل الأول؛ لأنه يعتقد أن الرسالة هي التجسيد الفعلي للمزج بين أطراف هذا الثنائي، وهو مزج عبر عنه جاكسون حين سمى إحدى دراساته حول هذه القضية: قواعد الشعر وشعر القواعد، وهو يعني بقواعد الشعر دراسة الوسائل التعبيرية الشعرية في اللغة، ويعني بشعر القواعد دراسة الفعالية الناتجة من وضع هذه الوسائل موضع التطبيق⁽²⁷⁾.

لقد تصور جاكسون خريطة تجسدية توضح المراحل التي تمر بها الرسالة بين المرسل (المتكلم أو المؤلف) والمستقبل (السامع أو القارئ)، هذه الخريطة مكونة من: المرسل، والناقل (الهواء الحامل للصوتيات المرسله من الفم إلى الأذن، أو الكتابة المسجلة لها)، والرسالة (المرجع = المحتوى)، و(الشفرة = اللغة)، والناقل، والمستقبل⁽²⁸⁾. وكل اتصال بشري لغوي يحمل بالضرورة هذه العناصر، سواء كان اتصالاً مباشراً أو غير مباشر، والوسائل اللغوية التي يتم بها التوصيل تختلف تبعاً لعوامل كثيرة، ولكن تبقى لها بعض الثوابت التي تتحكم في هيكل البناء اللغوي، ويمكن أن تكون مفتاحاً له، وهذه الثوابت يسميها جاكسون: الموصلات، أو مغيرات السرعة، ومن بينها تقسيم الضمائر إلى ضمائر المتكلم

⁽²⁵⁾ ينظر: رابعة، موسى، الأسلوبية (مفاهيمها وتجلياتها)، ص: 9.

⁽²⁶⁾ ينظر: درويش، أحمد، الأسلوب والأسلوبية، ص: 65.

⁽²⁷⁾ ينظر: ابن ذريل، عدنان، اللغة والأسلوب (دراسة)، ص: 140-141، 173. ودرويش، أحمد،

الأسلوب والأسلوبية، ص: 65. ورابعة، موسى، الأسلوبية (مفاهيمها وتجلياتها)، ص: 12-15.

⁽²⁸⁾ ينظر: درويش، أحمد، الأسلوب والأسلوبية، ص: 65-66.

والمخاطب والغائب، الذي يلتقي مع تقسيم ثلاثي لوظائف اللغة، يتمثل في الوظيفة التعبيرية (أنا المتكلم)، والوظيفة التأثيرية (أنت المخاطب)، والوظيفة الذهنية (هو الغائب)، ويلتقي - أيضاً - مع تقسيم ثلاثي في العمل الأدبي، يتمثل في: المؤلف (أنا)، والقارئ (أنت)، والشخصيات (هو)، ويرتبط ذلك - في النهاية - بميول بعض الأجناس الأدبية إلى استعمال بعض هذه الموصلات أو مغيرات السرعة دون بعضها الآخر⁽²⁹⁾. وأخيراً إذا كان البنيويون قد تابَعوا الخيط العام للأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي، وتابَعوا - أيضاً - المنهج الوصفي عنده، فإنهم تلافوا نقصاً وقعت فيه مدرسة بالي حين قصرت اهتمامها على اللغة المنطوقة من ناحية، وحين أحجمت عن وضع تصوراتها اللغوية موضع التطبيق من ناحية أخرى⁽³⁰⁾. ولعل من أبرز أوجه الافتراق بين الأسلوبيتين ما يأتي⁽³¹⁾:

- أن التعبيرية تابعة للذات، وأنها تستعين بغيرها، والبنيوية تكتفي بنفسها عن غيرها، ووظيفتها تنتج من الداخل دون اعتماد عوامل خارجية.
- أن التعبيرية لا تعبر عن الفكر إلا من خلال موقف وجداني، ولم تعتن بصاحب الخطاب (المؤلف)، والبنيوية اهتمت بالجانب الوجداني العاطفي وبالمؤلف معاً.
- أن التعبيرية اهتمت باللغة المنطوقة، وأهملت اللغة الأدبية، والبنيوية اهتمت باللغة المنطوقة واللغة الأدبية معاً.
- أن التعبيرية اهتمت بدراسة القوة التعبيرية في لغة الجماعة، ولم تهتم بالتطبيقات الفردية لها، والبنيوية اهتمت بدراسة لغة الجماعة، واهتمت بالتطبيقات الفردية لها.

⁽²⁹⁾ ينظر: درويش، أحمد، الأسلوب والأسلوبية، ص: 66.

⁽³⁰⁾ ينظر: درويش، أحمد، الأسلوب والأسلوبية، ص: 66.

⁽³¹⁾ القرعان، فايز، محاضرات مساق البلاغة العربية والأسلوبية، برنامج الدكتوراه، بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، سنة 2009م.

المبحث الثالث - تحليل قصيدة محمود درويش (هو هادي، وأنا كذلك)⁽³²⁾

"هُوَ هَادِيٌّ، وَأَنَا كَذَلِكَ

يَحْتَسِبِي شَايَا بَلِيمُونَ

وَأَشْرَبُ قَهْوَةً

هذا هُوَ الشَّيْءُ الْمَغَايِرُ بَيْنَنَا.

هُوَ يَرْتَدِي مِثْلِي، قَمِيصًا وَاسِعًا وَمُخَطَّطًا

وَأَنَا أَطَالِعُ، مِثْلَهُ، صُحُفَ الْمَسَاءِ.

هُوَ لَا يِرَانِي حِينَ أَنْظُرُ خِلْسَةً،

أَنَا لَا أَرَاهُ حِينَ يَنْظُرُ خِلْسَةً،

هُوَ هَادِيٌّ، وَأَنَا كَذَلِكَ.

يَسْأَلُ الْجَرَسُونَ شَيْئًا،

أَسْأَلُ الْجَرَسُونَ شَيْئًا...

قِطَّةٌ سَوْدَاءُ تَعْبُرُ بَيْنَنَا،

فَأَجِسُ فَرْوَةَ لَيْلِهَا،

وَيَجِسُ فَرْوَةَ لَيْلِهَا...

أَنَا لَا أَقُولُ لَهُ: السَّمَاءُ الْيَوْمَ صَافِيَةٌ

وَأَكْثَرُ زُرْقَةً.

هُوَ لَا يَقُولُ لِي: السَّمَاءُ الْيَوْمَ صَافِيَةٌ.

هُوَ الْمَرْتِيُّ وَالرَّائِي

أَنَا الْمَرْتِيُّ وَالرَّائِي.

أَحْرَكُ رِجْلِي الْيُسْرَى

يَحْرِكُ رِجْلَهُ الْيُمْنَى.

أَدْنِدُنُ لَحْنَ أُغْنِيَةٍ،

⁽³²⁾ ينظر القصيدة في: درويش، محمود، ديوان (لا تعتذر عما فعلت)، رياض الريس للكتب

والنشر، ط(2)، 2004م، ص: 87-88.

يدندن لحنً أغنيةً مُشابهةً.
 أفكّر: هل هو المرأة أبصر فيه نفسي؟
 ثم أنظر نحو عينيه،
 ولكن لا أراه ...
 فأترك المقهى على عَجَلٍ.
 أفكّر: رُبّما هو قاتلٌ، أو رُبّما
 هو عابرٌ قد ظنّ أنّي قاتلٌ
 هو خائفٌ، وأنا كذلكُ!".
 حول النص:

يتمركز هذا النص حول العلاقة المتجذرة بين (الأنا والآخر): أنا = الشاعر، والآخر = هو. وقد اختار الشاعر عنواناً واضحاً لنصه، وهو (هو هادئ، وأنا كذلك)، وهذا العنوان قد تكرر مرة واحدة -غير البداية- في النص. أما الصورة المحورية أو الكلمة المفتاحية في هذا النص فهي قوله: (قطعة سوداء تعبر بيننا)، حيث تجسد في هذه الصورة الخلاف بين الشاعر وعدوه، ولعل هذا العدو هنا (الإسرائيلي)؛ لأن هذا المصطلح/التعبير -قطعة سوداء تعبر بيننا- يستعمل في اللغة العبرية كناية عن نشوب خلاف بين اثنين. وقد يكون الآخر هو (النفس الداخلية المتصارعة في طبقاتها الداخلية والخارجية)، وهذه الصورة بنى الشاعر عليها نصه بأكمله، حيث تدور حولها كل الأحداث.

تحليل النص أسلوبياً: عند تحليل النص نجد فيه عدة مناحٍ أسلوبية، منها:
 أ. الانزياح في الفعل الماضي (ظن)، فقد تكرر الفعل المضارع منه خمسة وعشرين مرة، ثم جاء بالفعل الماضي (ظن)؛ ليتوافق مع معنى (لا أراه)؛ لأن هذا الفعل جاء بعد اختفاء الآخر.

ب. الانزياح بالحذف، حيث استعمل الشاعر الحذف اللغوي في عدة مواضع، منها:

- حذف كلمة (هادئ) في قوله: (هو هادئ، وأنا كذلك) = وأنا كذلك هادئ.
- حذف كلمة (خائف) في قوله: (هو خائف، وأنا كذلك) = وأنا كذلك خائف.

- حذف عبارة (هو يطالع صفح المساء) قبل قوله: (وأنا أطالع مثله صفح المساء).
 - حذف عبارة (وأكثر زرقة) من قوله: (السماء اليوم صافية).
 - حذف عبارة (أنا أرندي قميصاً واسعاً ومخططاً) قبل قوله: (هو يرندي... مخططاً).
- فالحذف يدل على تمثيل وتشبيه قائم بين (الأنا) والـ(هو)؛ فكل منهما أخذ ما يخص الآخر، حتى يخفي نفسه عن صاحبه؛ لأن كلاً منهما يراقب الآخر، فكلاهما في حالة خوف واضطراب.
- في قوله: (فأجس فروة ليلها + ويجس فروة ليلها) انزياح، حيث يبدأ الشاعر القصيدة بذكر الآخر، ثم يعقبه بالحديث عن نفسه؛ لكنه هنا قد خالف؛ فذكر نفسه قبل الآخر، ثم رجع بعد سطرين كبدايته، ثم رجع فذكر نفسه، ثم يختمها كما بدأ.
 - الانزياح في ذكر الكلمة المعربة (الجرسون) مرتين.
 - الانزياح في مخالفة الضمير في (فيه) المذكر بدل المؤنث العائد على (المرأة).
 - الاستبدال في المحور العمودي (يحتسي) - (أشرب).
 - تكرار الضمير (أنا) و(هو) في أغلب الأسطر، مع تغيير وتوزيع الضمير (هو) في بعض الأسطر؛ لأجل المقارنة بين الشاعر والآخر؛ ولكن التغيير في توزيعه يوحي باضطراب نفسية الشاعر، وعدم استقراره؛ خوفاً من عدوه الذي يرصده.
 - مجيئ السياق الأصغر - وهو الاستعارة - في قوله: (فأجس فروة ليلها، ويجس فروة ليلها).
- فالاسم الأول (فروة) نسق أصغر، والاسم الثاني (ليلها) تضاد، أو انحراف، أو العنصر غير المتوقع، والوحدة الأسلوبية، أو الحدث الأسلوبي في العبارتين: الاسم الأول + الاسم الثاني + والقارئ لا يمكنه الفصل بين قطبي العبارة، وعند الربط بينهما ينشأ الأسلوب، ودهشة القارئ تنتج عن الشعور بوجود مركب اسمي مبني على التضاد بين الاسمين، ويمثل ريفاتير وحدة السياق الأصغر بالمعادلة الآتية:
- نسق أصغر + مخالفة/تضاد = مسلك أسلوبى/وجه أسلوبى⁽³³⁾.**

⁽³³⁾ ينظر: البكري، طارق، الأسلوبية عند ميشال ريفاتير:

ومثل هذا النسق الأصغر في قوله: (أحرك رجلي اليسرى، يحرك رجله اليمنى)؛ فبينهما تضاد، وكان الأصل أن يحرك رجله (اليسرى) لا (اليمنى)؛ فهو يتابعه في أغلب أفعاله؛ لكنه هنا خالفه. تكرر بعض الكلمات في نهاية الأسطر، مثل: خلسة وخلسة، شيئاً و شيئاً، ليلها و ليلها، صافية و صافية، الرائي و الرائي. ومثل هذا التكرار يوجي بدقة المتابعة والمراقبة بين (الأنا والآخر) مما يزيد الخوف في داخل كل منهما.

واستخدام الشاعر للانزياح في هذه القصيدة، يرجع إلى الجانب العاطفي القلق الذي يعيشه؛ بسبب محاصرة العدو له، ورصد تحركاته وسكناته، وهو ما يزعجه ويريكه، حيث صور الآخر بصورة مصاص الدماء، صاحب الهوية الهلامية، التي يغطيها بالمظهر الخارجي، ولا تنعكس صورته في المرأة؛ فيصل الأمر بالشاعر إلى اللجوء إلى الهرب؛ فيترك له المقهى. والملحوظ على القصيدة أنها تبادل أدوار بين (هو وأنا)، فصلت بينهما القطة السوداء، وكأن هذا موج برصد الشاعر عدوه، ورصد العدو إياه، وقد أخذ كل منهما يخفي نظراته وحركاته عن الآخر. فالتقنية العامة في هذه القصيدة مبنية على الثنائية (هو وأنا) والتصرفات المرآتية المرعبة التي تتخللها.

الخاتمة

بعد التعريف بكل من الأسلوب والسلوبية، وبالشاعر محمود درويش، وبالأسلوبيتين: التعبيرية والبنوية، وتحليل قصيدة (هو هادئ، وأنا كذلك)، يمكن تلخيص أهم النتائج البحثية في الآتي:

- أن الأسلوب والأسلوبية لفظتان منفقتان في الجذر اللغوي، مفترقتان في الوظيفة، فالأسلوب نمط معين للشخص، والأسلوبية منهج نقدي لذلك النمط.

- أن علم الأسلوبية علم حديث المنشأ، وفد إلينا من الأدب الغربي.
 - أن هناك فرقاً بين الأسلوبية التعبيرية والأسلوبية البنوية، كما جاء في ثنايا البحث.
- أن للشاعر محمود درويش إبداعات ودفقات شعرية يمكن دراستها من كل الجوانب الأدبية، بما فيها الدراسة الأسلوبية.



المصادر والمراجع

- بوحوش، رابح: اللسانيات وتحليل النص، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، جدارا للكتاب العالمي، عمّان- الأردن، ط(1)، 2007م.
- جيرو، بيير: الأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري للدراسات والترجمة والنشر، ط(2)، 1994م.
- درويش، أحمد: الأسلوب والأسلوبية (مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه)، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد (5)، العدد (1)، 1984م.
- درويش، محمود: ديوان (لا تعتذر عما فعلت)، رياض الريس للكتب والنشر، ط(2)، 2004م.
- ابن ذريل، عدنان: الأسلوبية، مجلة الفكر العربي، بيروت، العدد (25)، 1982م.
- ابن ذريل، عدنان: اللغة والأسلوب (دراسة)، مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط(2)، 2006م.
- رابعة، موسى: الأسلوبية (مفاهيمها وتجلياتها)، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، ط(1)، 2003م.
- سليمان، أماني: الأسلوب والأسلوبية، إضاءات حول المفهوم والمحددات، مجلة أفكار، عمان، العدد (166)، 2002م.
- شريم، جوزيف: دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984م.
- عبد المبحث، محمد: التكرار النمطي في قصيدة المديح عند حافظ (دراسة أسلوبية)، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد (3)، العدد (2) 1983م.
- أبو العدوس، يوسف: الأسلوبية (الرؤية والتطبيق)، دار المسيرة، عمّان، 2005م.
- عزام، محمد، الأسلوبية منهجا نقديا، وزارة الثقافة، دمشق، 1989م.
- العطار، سليمان: الأسلوبية علم وتاريخ، مقال مترجم منتزع من كتاب نظرية الأدب المترجم إلى الأسبانية عن البرتغالية، تأليف: قيتور مانويل دي أجيبار إي سيلقا، مجلة فصول، المجلد (1)، العدد (2)، 1981م.

- عياد، شكري: اللغة والإبداع (مبادئ علم الأسلوب العربي)، القاهرة، إنترناشونال، برس، ط(1)، 1988م.
 - عياد، شكري: مدخل إلى علم الأسلوب، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض-السعودية، الطبعة الأولى، 1402هـ- 1982م.
 - القرعان، فايز: محاضرات مساق البلاغة العربية والأسلوبية، برنامج الدكتوراه، بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، سنة 2009م.
 - المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1977م.
 - ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب المحيط، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة: يوسف خياط، قدم له الشيخ: عبد الله العلايلي، دار الجيل، بيروت، دار لسان العرب المحيط، بيروت، 1408هـ- 1988م.
 - الموسوعة الفلسطينية، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، ط(1)، دمشق، 1984م.
 - مولينيه، جورج: الأسلوبية، ترجمه وقدم له: بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط(1)، 1420هـ- 1999م.
 - هاف، كراهم: الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: كاظم سعد الدين، دار آفاق عربية للصحافة والنشر، بغداد، 1995م.
- المواقع الإلكترونية:**

- <http://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2014/9/201-/>
- <https://www.arageek.com/bio/mahmoud-darwish2->
- http://www.al-yyam.ps/ar_page.php?id=1260efcay308342730Y1260efcahttp://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=1260efcay308342730Y1260efca
- <http://nashiri.info/critiques-and-reviews/critiques-and-analyses/587-o.html>